

بسم الله الرحمن الرحيم [مقدمة المؤلف]

أحمد لله الذي جعلني ممن شرح صدره للإسلام، فهو على نور من ربه وثبتني على القول الثابت في الحياة الباقية من عنده، وجعل لي لسان صدق في الآخرين^١ وهداني إلى صراط الحق واليقين، جعلني على نفس أبيّة وهمّة عليّة لا تكاد تستأنس إلا بذكر مولاه، وابتغاء مرضاه ونعت جماله وجلاله وعد أوصافه وأفعاله، أميل عن زخرف الدنيا وزيورها، وأكبح النفس أن تحول حول مخرجها ومولجها، أعاف سفاسف الأمور ومرتداتها، وأخاف المفضحات للنفوس وموبقاتها الموجبات للعثور يوم النشور، أفنيت الجسم وقواه في خدمة مولائي ورفضت البدن ومناة تقربا إلى معيدي ومبدأي وأعرضت عما بالغ فيه الأكثرون من المقلّدين والاتباع، وتجنّبت صريحا عما أكب عليه المشتهرون - فالحق أحق بالاتباع، ولم يغررنى كلمات المتشبهين بأصحاب العلم والحال ولم يغيّرني عما فطرني الله عليه مطالعة كتب أرباب البحث والجدال .

بل إنني اهتديت برموز السابقين الذين اشتاقت أرواحهم إلى مشاهدة العقليّات الدائمت، وتلذذت قلوبهم عن ملاحظة اللذات الباقيات واقتفيت آثار أولياء الله الماضين وعلمائه الذين خلصوا من ظلمات هذه الأفاويل المضلّة، وتجرّدوا عن هذه الحكايات الملهية، المنبئة عن السعادات الباقية، وفقني الله لشكر ما أسبغ عليّ من عطائه، وأتمم عليّ من نعمائه وأعوذ به أن أذل وأضل فيما أتى وآذرو أن أركن إلى الذين ظلموا فتمسّنى النار يوم العرض الأكبر وجعلني بفضلله وتأييده ممن لا ينظر إلّا إليه ولا يرغب إلّا فيما لديه .

١ . الاتخاذ من الآية ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ . (الشعراء) (٢٦) : (٨٤)

الهي برئتني من غير سابقة علم مني بأن لي مولى ومالك، وربيتني من دون حق يوجب عليك ذلك فلا تؤاخذني بالنقصان الامكاني، ولا تعاقبني بالنسيان الانساني .
والصلاة على خير من أنزل اليه الكتاب، وأوتى من ربه الحكمة وفصل الخطاب، البرزخ الجامع بين الجوب والامكان، والثمرة الحاصلة من وجود الأفلاك والأركان، سيد الكونين ومراة العالمين، محمّد وآله المعصومين الفائزين من ميراث النبوة والولاية بالحظ الأوفى والقدح المعلى - عليهم الصلوات من الله تعالى ولهم التسليمات من الحق الأعلى .
وبعد : فيقول المتشبّث بلطفه الجسيم محمّد المشتهر بصدر الدين ابن ابراهيم، الشيرازي مولداً ولقمة مسكنا جعل الله علمه عيناً وإيمانه عياناً .

اعلموا أيها الاخوان - السالكين الى الله تعالى بأقدام العبودية والعرفان، المشوقين الى معرفة ذات الحق والصفات والأفعال وكيفية بعثة الرسل والوحي اليهم بالانزال والارسال والمتأملين في أسرار المبدأ وأحوال المآل، والمتدبرين في خلق السموات والأرض بدقائق الأنظار والمتفكرين في عجائب صنع الله بالتدبر والاعتبار القائلين : ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار﴾ (آل عمران ٣: ١٩١) والمؤمنين بهم وبأحوالهم على سبيل الاستبصار والمحيين لهم عامة من غير استكبار عن طلب الحق أو استنكار، فان لكم أهلية هذه المخاطبة العلية، وفيكم استيهال اتحاف هذه التحفة السنوية - إن الله سبحانه من جملة ما من به على عبده الفقير اليه لدى التوجه الى جنبه من كل جناب والتوسل الى بابه من كل باب - مع خلوص النية وصفاء الوقت - أن اطلعه على بعض أسرار كتابه الكريم الحاوي كل معرفة جليلة وعلم جسيم، من المعاني الالهية والمعارف الربانية والرموز النبوية والاشارات الولوية الالهامية، التي لم يحط بها أحد من العلماء المشتهرين بعلوم التفسير للتنزيل، ولم يحم حولها واحد من الفضلاء المتفكرين في بدايع علم التأويل .

لكنني منذ وقفت على خزائن تلك الأسرار واطلعت على معادن الجواهر المودعة في قلوب عباد الله و أوليائه الأبرار و علمائه الأخيار واستجلت منها ما شاء الله وقدر عند رفع الأستار وكشف الأنوار لم أجد من جانب الحق لاظهار ما جاد به باعثا يوجب الافادة والاظهار ولا رغبة تدعوا الى التصريح والاظهار، فرجح عندي السكوت والكتمان، وغلب في حكم الاخفاء على الاعلان، مع ما في الطبائع المؤفة والغرائز العسوفة الواقعة في هذا الزمان من القصور والنقصان، والفتنة والحسد والعدوان والطغيان، لحكمة قضائية ومصالحة



قدرية بها تنتظم خلقة الانسان ، ولا تتم بدونها المعيشة الدنياوية المتوقفة على فنون الحرف والصنائع فى المدن والبلدان .

ولم يزل هذا حالى الى أن جدّد الحق داعية العزم لهذا العبد كرة أخرى واهتمّ معه حامل الانبساط مرة بعد أولى وتحركّ خامد النشاط بشعلة ملكوتية أنس من جانب الطور القدس ناراً حيث ما قضى الأجل الموعود فى رياضة النفس وقواها المتمردة ، فأسلمت وتابعت وشايعت وأطاعت كلمة الله ، وسار بأهله - من القوى الدراكة والمنفعله - فقال لأهله امكثوا إننى أنست ناراً قدسية ، لعلّى أتيكم بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون .

فلما أقبل بوجه القلب على شاطى الوادى الأيمن فى البقعة المباركة - متوجّهاً بشراشر هممه وقواه العلمية وجنوده العملية - منحه صاحب قدس اللاهوت ومالك ملك الجبروت عند ذلك فتحاً جديداً وجعل بصر بصيرته بنوره حديداً وانكشف له فى هذا الفتح أيضاً من أسرار كتابه المجيد - الذى هو تنزيل من عزيز حميد - فوق مزيد مزيداً ، فحركّ الباطن لابرار نبد من تلك الأسرار الى اخوانه الالهيين الأبرار ، سيّما الواحد منهم الذى يترائى من نور بصيرته سيماء الفلاح والنجاح ، والوصول الى منزل الخير والصلاح والمرجو من فضل الله ورحمته الشاملة الامن من الغائلة والحفظ من سوء العاقبة ؛ لأنّى استخرت الله فى امضاء هذه الداعية رجاء أن يدخر لى عنده ثمرة صالحة ، ويجعلها كلمة باقية .

وكما كانت الشواهد القطعية والدلائل العقلية والنقلية مطابقة متوافقة على أن آية الكرسي سيّد آيات القرآن لما فيها من معنى السيادة ، المأخوذة فى مفهومها المتبوعية الثابتة لواحد من نوعه والتابعية لغيره من أفراد ذلك النوع أو الفضيلة والشرف له فى المعنى المشترك بينه وبين أمور واقعة تحت معنى نوعى أو جنسى ، فسيّد الانسان ما يكون فى باب الانسانية المعتبرة فيها معرفة الله وعبوديته كاملاً غاية الكمال كنبينا ﷺ وسيّد الأنبياء من يكون له الأكملية فى معنى النبوة كهو ﷺ وسيّد الكواكب ما يكون نوره أقوى وأشدّ من أنوار الكواكب إذ روح الكواكب وملاكه هو النورية الحسية والاشراق والشمس أشدّ الكواكب نورية واشراقاً ، فتكون هى حرية بهذا الاسم فيما بينها .

وهكذا الحال فى كل معنى مشترك يكون له فرد كامل شديد الكمال سواء كان اطلاق السيادة فى الجميع على سبيل الحقيقة - وذلك إذا لم يعتبر فيها العقل والشعور - أو على سبيل التشبيه فى غير ذوى العقول ، والتحقيق فيهم لا اعتبار ذلك فيها .

وإنما تحققت السيادة في آية الكرسي على سائر الآيات لما فيها من تحقق الأفضلية في المعنى الذي هو روح القران ولبابه الأصفى وسره ومقصده الأقصى وهو دعوة العباد الى الجبار وسياقتهم الى العزيز الغفار وهذا المطلوب كأنه أمر مشترك جنسى أو نوعى منحصر فى ستة أنواع أو أصناف بعضها كالدعائم والأصول المهمة وبعضها كالروادف والتوابع المعينة المتممة، أما الدعائم الأصولية فبعضها معرفة الحق الأول المسلوک اليه المصمود له بما فيه من الصفات العظمى والأسماء الحسنى والأفعال القصى، وبعضها معرفة الصراط المستقيم الذى يجب ملازمته فى السلوك اليه، وبعضها معرفة الحال عند الوصول اليه فهذه ثلاثة أقسام .

وأما الروادف المعينة فأحدها: معرفة أحوال المحبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم، وثانيها: حكايات الجاحدين وكشف فضائهم وجهلهم بالمجادلة والمحااجة على الحق، وثالثها: معرفة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد والاستعداد .

والمقصود فى الأول إما التشويق والترغيب أو الاعتبار والترهيب . وفى الثانى إما الايضاح والتشبيث والتقريب . وذلك فى جنبه الحق أو الافضاح والتحذير والتنفير . وذلك فى جنبه الباطل . وفى الثالث سرعة الوصول الى أصل الأصول ورفع العوائق عن التوجه والسير الى خلاق الخلائق ومحقق الحقائق .

ثم القسم الأول من الأقسام الثلاثة الأصولية يتوزع على معارف ثلاثة : معرفة الذات ، ومعرفة الصفات ، ومعرفة الأفعال .

أما الأولى ، فهى الكبريت الأحمر الذى لم يظفر بقدر يسير منها إلّا ملوك الآخرة و سلاطينها الذين هم الأنبياء والأولياء - صلوات الله عليهم أجمعين - ، لكونها أضيقت المعارف مجالاً وأعسرهما مقالاً وأعصاها على الفكر وأبعدها عن قبول الذكر ، ولا يطلع عليها إلّا واحد بعد واحد من أكابر الأنبياء والأولياء عليهم السلام وذلك بعد فنائهم عن ذواتهم واندكاك جبل انبياتهم ولذلك لا يشمل القرآن منها إلّا على تقديسات وتنزيهات وسلوب نقائص وكثرات .

و أما الثانية ، فالمجال فى الصفات أفسح ونطاق النطق فيها أوسع وبلوغ الأفهام اليها أسهل وأيسر لكونها معانى كلية ومعقولات عامية يقع الاشتراك فيها بوجه بين الحق والخلق ويوجد ظل ضعيف من حقائقها فيما سوى الواحد الأول ولذلك أكثر آيات القرآن مشتملة

على أمهاتها - وهي العلم، والقدرة والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والحكمة .
 و أمّا الثالثة، فبحرها أيضا متّسع الأكناف ولا ينال بالاستقصاء فيها الأطراف بل ليس
 فى الوجود إلّا الله وأفعاله، إذ ما سواه فعله من حيث هو أثره وكون وجوده تابعا له ظلّا
 لنوره . لكنّ القرآن يشتمل على معرفة الجلىّ منها الواقع فى عالم الحس والشهادة ككليات
 الأجرام الشديدة البنيان، ومعظّمات الطبائع والأركان حيث يذكر فيه خلق السموات و
 الكواكب والأرض والجبال والبحار والحيوان والنبات وإنزال الأمطار والثلوج وتصريف
 الرياح و إشارة السحاب المسخّر بين السماء والأرض - الى غير ذلك من الآيات وسائر
 أسباب النشوء والحياة، إذ كلّ ذلك من الأمور الجليّة الظاهرة للحواس .
 و أمّا الأمور الخفية منها، فهى التى لاتصل اليها أفهام أكثر الناس، وهى أعجبها ترتيباً
 وأشرفها رتبة وأعظمها جلاله وأدلها على عظم مبدعها وخالقها برهاناً لكونها من عالم
 الملكوت والروحانيات .

ولمّا كان الروح الانسانى المسمّى باللطيفة الربانية من جملة أجزاء الأدمى من سنخ
 الملكوت وعالم الغيب، فيمكن له عند استكمالها بالعلم والتجرّد عن الدنيا أن يدرك بالبصيرة
 الباطنية خلائق عالم الملكوت الأعلى وحقائقها الغيبية وهم على مراتب متفاوتة ودرجات
 مختلفة :

منها : الملائكة الأرضية الموكّلة بجنس الانس وهى التى سجدت لآدم .
 ومنها : الشياطين المتمرّدين عن الطاعة المسلّطين على أفراد الانسان إلّا من أخلص لله
 سبحانه وهى التى امتنعت عن السجود .
 ومنها : الملائكة السماوية، وأعلى منهم الكروبيون وهم العاكفون حظيرة القدس الذين
 لا التفات لهم الى هذا العالم لاستغراقهم فى مشاهدة جمال الحضرة الربوبية وجمال الساحة
 الالهية .

واعلم أنّ ادراك أكثر الخلق مقصور على عالم الحس والتخيل وهو النتيجة الأخيرة من
 نتائج عالم الملكوت والقشر الأقصى عن اللب الأصفى ومن لم يجاوز هذه الدرجة فكأنّه
 لم يشاهد من الزمان إلّا قشريّة، ومن عجائب الانسان إلّا بشرية .
 فاذا تمهّد ما ذكرناه من بيان أبواب القرآن وأقسامه، و أنّ الغرض من الجميع والمقصود
 الذى هو روح القرآن وسرّه ولبابه هو سياقة الانسان الى جوار ربّ الملائكة والانس والجان،



تحقق و تقرّر أن لبعض آيات الكتاب العزيز فضيلة و شرافة على غيره منه و علم حقيقة ما دلّت عليه الأخبار و الآثار النبويّة و الأحاديث المرويّة عن خير البريّة عليه وآله الصلوات الزكيّة و التسليمات المرضيّة، الدالة على شرف بعض السور على بعض من قوله ﷺ: «فاتحة الكتاب أفضل القرآن»^١

وقول ﷺ: «قل هو الله أحد يعدل ثلث القرآن»^٢

وقوله ﷺ: «يس قلب القرآن»^٣

وكذلك الأخبار الدالة على فضيلة بعض الآيات من قوله ﷺ: «آية الكرسي سيّد آي القرآن»^٤

وما وردت من الأخبار و الآثار الدالة على تفضيل بعض السور و تخصيص بعض الآيات و كثرة الثواب في تلاوتها و المنافع المركوزة في قواعد القرآنية المذكورة على السنة الرواة المثبتة في كتب الأحاديث المرويّة بالأسانيد العامية و الخاصية المتمتية الى سادات الأمة و رؤساء العصمة و الامامة، و أهل بيت النبوة و الولاية ﷺ أكثر من أن تحصى .

ومن توقف بعد هذه الدلائل النقليّة و القواعد العقلية العرفانية في تفضيل بعض السور و الآيات، و ضعف نور بصيرته عن ادراك التفرقة بين آية الكرسي و آية الزانيات، و سورة الاخلاص النازلة في معرفة الربّ، و سورة تبت يدا أبي لهب، فحرام عليه أن ينسرح في ميدان معرفة الصانع بل يجب عليه أن يغض بصره عن آثار رحمة الله، و لا ينظر اليها و يشغل من لباب القرآن بالقشور و يتوجّه الى القرطاس المنقوش من الرقّ المنشور و يكتفى من العلوم الشرعيّة التي تستنبط أصولها و فروعها من آيات الكتاب بنوادير الطلاق و دقائق علم السلم و الرهانة و غرائب النحو و اللغة، و صنعة الكلام و طريقة المجادلة مع الخصام التي هي متاع الأنعام ﴿قد علم كلّ أناس مشربهم﴾ «قوة كلّ طائر على قدر حوصلته» نظم:

گر بپرد پشه چندانکه هست کی کمال صرصرش آید بدست
إذا لم تستطع أمراً فدعه و جاوزه الى ما تستطيع

١. صحيح ابن حبان، ج ٣، ص ٥١؛ الجامع الصغير، ج ١، ص ١٩٣، ح ١٢٨٨؛ كنز العمال، ج ١، ص ٥٧٧، ح ٢٥٠٣

٢. صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٩٩؛ جامع أحاديث الشيعة، ج ٧، ص ٢٩٤، ح ١٣٠ .

٣. مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٦؛ كنز العمال، ج ١، ص ٥٦٥، ح ٢٥٤٨؛ المجازات النبوية، ص ٤١٤؛ وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٢٤٧، ح ٧٨٥٥

٤. كنز العمال، ج ٢، ص ٣٠١، ح ٤٠٥٧

فمن رجع الى ملاحظة المقصود الأصلي من انزال القرآن وروح المعنى المراد منه والقدر المشترك بين أقسامه الذي هو سياقة الخلق الى جوار رحمة الله سبحانه وأنه مما يتفاوت في تلك الأقسام كما لا ونقصاً وشدة وضعفاً، إمّا لأجل التدرج في التعليم من مرتبة الى مرتبة أخرى فوقها، أو التلطف في الهداية من جهة الانتقال من فن الى فن لكيلا يلزم الأسهاب والأملال بسبب التكرار والمواظبة على نهج واحد في المقال، وإمّا لأجل اختلاف القرائح والطباع في اللطافة والكثافة، والذكاء والغباوة .

فلكل إنسان بحسب عقله طور من الأطوار، كما أن لكل حيوان بحسب جسميته شكل من الأشكال كالفرس والحمار والبعير والانسان المتخالفة في الحركات والآثار، فتفظن وتيقن أن المقصد الأقصى واللباب الأصفى من أقسام القرآن وعلومه هي معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، ويعلم أن سائر الأقسام مرادة لهذا القسم، وهو مراد لنفسه لا لغيره، فإن العلم الأعلى والحكمة الالهية هو رئيس سائر العلوم الحقيقية ومخدومها، لأن غاية العلوم الآلية التي هي مقصودة لغيرها هي المعارف الربانية وهي ليست غاية لشيء آخر غيرها بل غاية الغايات و آخر سير الأفكار ونهاية الحركات، وما عداها من العلوم الكلية والجزئية هي خدمها وتوابعها وعبدها، وهو السيد المطاع والرئيس المقدم الذي يتوجه اليه وجوه الأتباع ويتولى شطره قلوب الخدم، فيحذون حذوه وينحون نحوه ويخدمون غرضه .

و إذا تأمل الناظر المتفكر وتدبر بعين البصيرة في جملة المعاني التي تشتمل عليها آية الكرسي من المعارف الالهية والمطالب الربوبية - من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العلى والأفعال العظمى - لم يجدها مجموعة في آية واحدة من آيات القرآن إلا هذه الآية، فلذلك لا تستحق السيادة والرئاسة على سائر أي القرآن إلا هي وحدها، فإن ﴿شهد الله﴾ (آل عمران ٣: ١٨) ليس فيه إلا التوحيد و﴿قل هو الله أحد﴾ (الاخلاص ١١٢: ١) ليس فيه إلا التوحيد والتقديس و﴿قل اللهم مالك الملك﴾ (آل عمران ٣: ٢٦) ليس فيه إلا الأفعال وكمال القدرة و﴿والفاتحة﴾ فيها مرامز الى هذه الصفات من غير شرح، وهي مشروحة في آية الكرسي . والذي يقرب منها في جميع هذه المعاني آخر الحشر وأول الحديد، إذ يشتمل على أسماء وصفات كثيرة، ولكنها آيات لا آية واحدة، وهذه آية واحدة، فاذا قابلتها بأحد تلك الآيات وجدها أجمع للمقاصد الالهية، التي هي روح القرآن فلذلك تستحق السيادة على



الآى كلها، وتكون مصداقاً لما ورد فى فضلها وشرفها من الأخبار والآثار .

منها ما ورد منه عليه السلام أنه قال : «آية الكرسي سيد آى القرآن»

ومنها أنه قال عليه السلام : «ما قرئت هذه الآية فى دار إلّا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا

يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة» .^١

ومنها ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام : «سمعت نبيكم وهو على أعواد المنبر يقول : من قرأ آية الكرسي فى دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه عن دخول الجنة إلّا الموت، ولا يواظب عليها إلّا صديق أو عابد، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه، وجاره، وجار جاره، والأبيات حوله» .^٢

وتذاكر الصحابة أفضل ما فى القرآن فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام : «أين أنتم عن آية الكرسي؟ - ثم قال : - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا على سيد البشر آدم^٣ و سيد العرب محمد ولا فخر، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي . يا على إن فيها لخمسين كلمة، فى كل كلمة خمسون بركة» .^٤

وعن أبى ابن كعب قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أبا المنذر أى آية فى كتاب الله أعظم؟ قلت : ﴿الله لا إله إلّا هو الحى القيوم﴾ قال : فضرب فى صدرى ثم قال : ليهنك [العلم] والذى نفس محمد بيده إن لهذه الآية للسانا وشفيتين، تقدس الملك عند ساق العرش» -^٥ ومنها ما روى عن أبى جعفر الباقر عليه الصلوة والسلام قال : «من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه ألف مكروه من مكاره الدنيا وألف مكروه من مكاره الآخرة أيسر مكروه الدنيا الفقير وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر» .^٦

وعن أبى عبد الله عليه السلام : «إن لكل شىء ذروة وذروة القرآن آية الكرسي»^٧

١ . تفسير الرازى، ج٧، ص٥٥؛ تفسير البحر المحيط، ج٢، ص٢٨٦

٢ . تخرج الأحاديث والآثار، ج١، ص١٦٠؛ مكارم الأخلاق، ص٢٨٨

٣ . فى المصدر : الناس

٤ . كنز العمال، ج١١، ص٤٨١، ح٣٢٢٧٠؛ كشف الخفاء، ج١، ص٤٥٩، ح١٥٠٤

٥ . تفسير مجمع البيان، ج٢، ص١٥٧

٦ . الأمالى للصدوق، ص١٥٨، ح١٥٥؛ مستدرک سفينة البحار، ج٩، ص١٠٠

٧ . وسائل الشيعة، ج١١، ص٣٩٦، ح١٥٠٩٨

كيف وفيها «الحى القيوم» وهما من اسم الله الأعظم كما يظهر لك لمعة من أنواره ونكتة من أسراره، ويشهد له ما ورد في الخبر بأن: «الاسم الأعظم فى آية الكرسي وأول آل عمران»^١

وعن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: «لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله ﷺ أنظر ما يصنع قال فجئت فاذا هو ساجد يقول: «يا حى يا قيوم» لا يزيد على ذلك، ثم رجعت الى القتال، ثم جئت وهو يقول ذلك - فلا أزال أذهب وأرجع وأنظر اليه ولا يزيد على ذلك الى أن فتح الله له»^٢

وناهيك ايقاناً بهذا أن الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم وأشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن أن يقال: «إنه هو أشرف من غيره»؛ لأن ذلك يقتضى نوع مجانسة ومشاكله، وهو مقدس عن مجانسة ما سواه ولما كانت الآية مشتملة من نعوت جماله و أوصاف كبريائه على الأصول والمهمات فلا جرم وصلت فى الشرف الى أقصى الغايات .

فقد ثبت مجملاً وتحقق بما أشرنا اليه قبل الخوض فى بيانه أن لآية الكرسي بخصوصها سيادة وشرافة على كل واحدة واحدة من آيات القرآن، لأنها أجمع من كل منها وأشمل لمعان هى روح القرآن ولبابه الأصفى - من معرفة الذات والصفات والأفعال - إذ ليست هذه المعانى مجموعة فى غيرها من الآيات وهى بأسرها مذكورة فيها، فان قوله تعالى: ﴿الله﴾ اشارة الى الذات الموصوفة بالوجوب والغنى الذاتيين «والالهية» افادة الوجود واعطاء الكمال والخير والوجود لغيره وقوله: ﴿لا إله إلا هو﴾ اشارة الى توحيد الذات ونفى المماثل فى الوجود والشريك فى اليجاد والشبيه فى الصفة .

وقوله: ﴿الحى القيوم﴾، اشارة الى نعت الذات وجلالتها وعظمتها لما فيه من معنى الحياة المأخوذ فيه العلم والقدرة وسائر ما يتعلق بهما ويتعلق به، إذ «الحى» هو الذى يدرك ويفعل، ومعنى «القيومية» المستفاد منه جميع الصفات الكمالية والبراءة عن جميع النقائص الامكانية، فان معنى «القيوم» هو الذى يقوم بنفسه ويجب بذاته ويقوم به غيره فلا يتعلق قوامه بشىء، وهو يستلزم سلب النقائص كلها، إذ ما من نقيصة إلا ومنبعه الافتقار

١ . فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ١، ص ٦٥٢ نقلاً عن ابن العربي؛ الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣٠٠ .

٢ . مجمع الزوائد، ج ١٠، ص ١٤٧؛ الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٦؛ السنن الكبرى، ج ٦، ص ١٥٧، ح ١٠٤٤٧ .

الذاتي والامكان ، ويتعلق به قوام كل شيء وهو يستلزم استجماع الخيرات والفضائل كلها ومنبعية كمالات الأشياء ومقاصدها بأسرها التي تتم بها قصوراتها وتجربها نقصاناتها ، وهذا غاية العظمة والجلالة .

وقوله : ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ ، من الصفات التقديسية السلبية ، لأنه تنزيه وتقديس له عما ينافي القدم والالهية من صفات الحوادث وسمات المركبات ولا شك أن التقديس عن وصمة التنقيص نوع من العرفان بل أوضح أقسامه في حق من لا سبيل الى اكتناه ذاته بالبرهان .

وقوله : ﴿ له ما في السموات وما في الأرض ﴾ ، اشارة الى الأفعال كلها خلقها و أمرها ، وعقولها ونفوسها ، وأعاليتها وسوافلها ، و أن جميعها يبتدى ويصدر منه ، وينتهي ويرجع اليه .
وقوله : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه ﴾ ، اشارة الى انفراده بالملك والأمر وتوحيده بالوجود والتقوم ، وفناء ذوات الكل عند ذاته ، و اضمحلال أشعة نفوسهم عند سطوع النور الأول و أن من يملك الشفاعة والوساطة فأنما يملكها بتشريفه إياه والاذن فيه بالأمر التكويني المتعلق أولاً بذوات الوسائط المستمعة بأذان قابلياتها الواعية الصافية ، وقلوبها السامعة الفاهمة خطاب الحق بقول ﴿ كن ﴾ وأمره في دخولها دار الكون قبل غيرها واجابة دعوته تعالى وامثال أمره في دخولها باستماع الخطاب وادخال غيرها باسماع كلامه تعالى إياه لقوله تعالى : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ﴾ (النبأ: ٧٨) : (٣٨) .

وقوله : ﴿ يعلم ما بين أيديهم ﴾ ، اشارة الى صفة العلم على الوجه التفصيلي الذي هو آخر مراتب العلم ونفى صفة العلم المساوق للحياة بل الوجود عن غيره ، إلا من عطائه وموهبته حسب ارادته ومشيته .

وقوله : ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ ، اشارة الى عظمة ملكه وبسطة قدرته . وفيه سر شريف ومعرفة غامضة سينكشف لك ما يتحمل سماعه طاقة أمثالك عند ايضاحنا نبذاً من شرح صفة الكرسي واتساعه السموات والأرض .

وقوله : ﴿ ولا يؤده حفظهما ﴾ ، اشارة الى كمال قدرته وعدم تناهى قوته وتنزهها عن الدثور والكلال والنقصان والزوال .

وقوله : ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ ، اشارة الى أصلين عظيمين في الأسماء والصفات سنشير





الى شرحهما حسبما يحتمله الأسماع .
فمن تأمل جملة هذه المعانى من التوحيد والتقديس والجمال والجلال والعظمة والبسطة والقهر والملك والملكوت تأملاً تاماً كاملاً وتفكراً فيها تفكيراً شافياً كافياً وجدها غاية مقصد السالكين و نهاية مطلوب المحتاجين ، بحيث بها يمكن أن يصل كل ذى حاجة و مسكنة الى مبتغاه و متمناه ، وبها ينتهى كل طالب مشتاق الى شىء مطلوب و كل مشتهى متمنى الى نفسه و مرغوب مناه و مهواه ، إذ فيها أصل السعادات و منشأها ، و غاية الخيرات و منتهاها .
فلنشرع فى تفسير هذه المعانى و شرحها حسب ما ألهمنا الله بها و منحها على قدر و سعنا و طاقتنا و مبلغ استطاعتنا و قوتنا لا على قدر جلاله تلك المعانى و عظمتها و مبلغ شرافتها و حقيقتها ، ولنورد جملة هذه المعانى فى عدة فصول تكون هى للحقائق العلمية دعائم و أصول ، مدرجاً كل جملة من المقاصد المتعلقة بكلام مفرد اسنادى خبرى فى مقالة واحدة ليسهل أخذها على المتأمل الطالب و يتيسر ضبطها على السالك الراغب ، مورداً فى كل باب قبل الاشارة الى ما هو صريح الحق والصواب ، و قرّة عيون أولى البصائر و الأبواب طائفة من كلمات القوم و تأليفاتهم و فوائدهم و تدقيقاتهم فى الكتاب ، ملخصاً لثمرات كلامهم و مقرباً لأبعاد مرامى سهامهم ، و مقصراً لمسالك أقدامهم ، و مجاوزاً عن ما يعدونه غاية مرامهم ، و ملتقطاً من عقود نظامهم فرائده من غير اخلال ، و مجتنباً من عنقود ثمارهم فوائده من غير اهمال ، ليكون معاوناً على ما نحن بصده ، و معداً للناظر فيما يحتاج الى مدده .
وها أنا أشرع فيما وعدناه و أخوض فيما قصدناه باذن مبدأ الجود و منتهاه و غاية الوجود و مبتغاه .